تعلمت من يوسف عليه السلام

تلخيص

المحاضرة الثانية عشر

لا تثريب عليكم اليوم

المقدمة

تأملات في سورة يوسف عليه السلام : من الشكوى إلى الرجاء

في مشهد مؤثر من سورة يوسف عليه السلام، ننتقل من لحظة الشكوى التي رفعها يعقوب عليه السلام إلى الله، إلى مشاهد الرجاء والتفاؤل. وكأن الشكوى إلى الله بددت ظلمات اليأس، وفتحت أبواب الأمل. إن من ذاق لذة الشكوى الصادقة إلى الله وحده، هو فقط من يدرك هذا المعنى العميق، حيث ينكشف له سر من أسرار العبودية.

حين يشتد الألم وتبلغ الشدة ذروتها، ويبدأ الإنسان في فهم رسالة الله من الابتلاء، ويستجيب كما يحب الله، يظهر منه الخير، فيرفع يديه ضارعًا باكيًا، متضرعًا شاكيًا، محققًا مراد الله من البلاء، فينجح في الاختبار، ويبدأ الفرج.

- وهذا ما حدث مع إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل؛ حين بلغا قمة التسليم، فبمجرد أن {فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ } ، نزل الفرج: { قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ } ... {وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ }. كانت تلك لحظة الانفراج والفتح.

العبد إذا ألهمه الله حسن الشكوى، فذلك من علامات قرب الفرج، لأن من وفقه للضراعة لن يحرمه الاستجابة. وهذا ما جعل يعقوب عليه السلام بعد شكواه الصادقة، يقول لبنيه: { يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ } ، بعد سنوات من الصمت لم يقلها، ولكنه الآن استشعر الفرج، فبدأ يبث الأمل في أولاده.

ويُلحظ تغيّر نبرة يعقوب عليه السلام، إذ خاطبهم بكلمة { يَٰبَنِيَّ } ، وهي كلمة رقيقة تنم عن محبة ورحمة، وكأن المحن التي مروا بها رققت قلوبهم، فأصبح أسلوب الأب معهم أكثر لطفًا بعد أن لمس تغيرًا في سلوكهم.

ثم جاءت وصيته العظيمة { وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ }. أي لا تيأسوا من رحمته وفرجه، فالأمل في الله عبادة قلبية لا يُمكن أن تُفقد، بل هي ركن من أركان الإيمان. ومن انعدم رجاؤه بالله تمامًا، فقد خرج من دائرة الإيمان، كما لا يُتصور أن يكون مؤمنًا من لا يحب الله إطلاقًا.

قال النبي ﷺ:

- أكبر الكبائر : " الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله" .

فالرجاء في الله واجب، واليأس من رحمته علامة الكفر والجهل بالله.

ومن العجيب أن يعقوب، الذي فقد بصره، هو من يُعلّم المبصرين الرجاء! فالقلوب هي المعيار، لا الأحوال. فكم من مبتلى أكثر يقينًا، وكم من معافى قلبه غافل. فالشأن شأن قلوب لا أبدان.

- وهكذا، تظل قصة يوسف عليه السلام سلوى كل محزون، وعزاء كل مهموم. من تأملها واستبصر معانيها، علم أن الرجاء لا يموت، وأن الله لا يُضيع من لجأ إليه، لكن بشرط أن يكون العبد صادقًا في دعائه، آخذًا بالأسباب، مجتهدًا في العمل، متقيًا لله.
  - فالرجاء لا ينفع دون عمل، ولا يستقيم أن يرجو المرء ولدًا وهو لم يتزوج، أو يرجو النجاح دون أن يذاكر، أو يرجو الفرج دون أن يتقرب إلى الله. فحينما نرجو الله في نصرٍ أو فرجٍ أو عافية، وجب أن نُقابل ذلك بالنية والعمل، والتقوى والطاعة، وإلا كنا نلوم أنفسنا لا نلوم ربنا.
- وخاتمة المشهد، في رقة يعقوب عليه السلام بأبنائه رغم كل ما فعلوه، لم يتخلّ عنهم، بل قال لهم: { يَٰبَنِيَّ } ، بكل حنان ورحمة. فإذا كانت هذه رحمة الأب، فكيف برحمة الرب سبحانه وتعالى؟!

إنها دعوة للتفكر، وبث للأمل، ورسالة عظيمة بأن القرآن لا يكتفي بسرد القصص، بل يزرع في القلوب حياة.

- القرآن الكريم، في آياته المباركة، يفيض بالأمل، ويطرد اليأس من القلوب، كما يظهر ذلك في قوله تعالى: { لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ } ، { وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ } . { وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }

- وهذه الآيات، حينما يتأملها المؤمن بصدق، ويعيش مع معانيها ويعمل بها، تمسح عن قلبه الحزن والضيق، وتزرع فيه رجاءً ويقينًا، فيدرك أن القرآن كتاب أمل، وأن العيش معه هو شفاء لكل همّ، وعلاج لكل كرب.

وفي قصة يوسف عليه السلام، يتجلّى هذا الأمل حين دخل إخوة يوسف عليه وهم في قمة الذل والانكسار، قائلين: { فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ }

لقد جاءوا هذه المرة وقد اجتمع عليهم الذل من كل جانب:

- ذل بسبب حال أبيهم يعقوب عليه السلام.
- ذل نتيجة تفريطهم وتقصيرهم.
- ذل لفقدان أخيهم الأصغر وعدم عودة أخيهم الأكبر.
- ذل المجاعة الشديدة التي أرهقتهم.
- ذل فقرهم وضيق ذات اليد حتى أنهم لا يملكون ما يشترون به الطعام.
- ذل فقد بصر أبيهم الحبيب بسبب أحزانهم المتراكمة.

- وهكذا اجتمعت عليهم المصائب وتخلى عنهم الشيطان، فلم يكسبوا حب أبيهم، ولم تتبدل أحوالهم، بل زادت تعاستهم، وكل ذلك نتيجة المعصية، فكما تقول الحكمة المستخلصة: **"من تأمّل ذلّ إخوة يوسف، تيقن من شؤم المعصية"**.

تأمل قولهم: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ }، لقد أعز الله يوسف عليه السلام، وأذلهم أمامه، بعدما خططوا لإذلاله.

فهو الآن العزيز في ملكه، وهم الضعفاء بين يديه.

وهم الآن يستجدونه قائلين:

{ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ }: اشتدت علينا الحاجة، والتعب، والجوع، والحزن، وفقدان الأحبة.

{ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ }: لا نملك مالًا ذا قيمة، وإنما أشياء رديئة لا تُقوَّم، كانت أقرب لما يسمى **"روبابيكيا"** بلغة الناس اليوم.

{ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ }: أعطنا بكرمك لا بمقدار ما معنا من بضاعة، فليس ما معنا بثمن يكفي.

{ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ } : تكرّم علينا برد أخينا، بنيامين، رحمةً بأبينا الذي أصابه البلاء.

{ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ } : وهنا نلمح بوادر التوبة، فقد بدأت ألسنتهم تذكر الله.

- وفي هذا المشهد، نجد أن الأيدي التي ألقت يوسف عليه السلام في الجب، هي نفسها التي تمتد إليه اليوم، بذلٍ وخضوع، تطلب منه الصدقة!

وهذه عبرة عظيمة : فلا تحزن أيها المظلوم، فإن لك ربًا لا يضيع الحقوق.

الجزاء من جنس العمل، والعدل الإلهي لا يغفل ولا ينام.

نعم، إنها قصة الرجاء، والعاقبة الحسنة للمحسنين، والذل الذي يعقب المعصية.

وفي هذا المشهد تتجلى الرحمة، ويتجلى عدل الله، ويتجلى القرآن كرسالة حياة وأمل لا تموت.

تأملات إيمانية في مشهد عظيم من قصة يوسف عليه السلام

الفائدة العظيمة الثانية التي نتأملها من هذا المشهد النبوي : إذا كان هذا حال مخلوق مع مخلوق، فكيف بحال الخالق مع عبده؟

رأينا كيف رقَّ قلب يوسف عليه السلام لإخوته، وتأثر بكلماتهم حين قالوا له: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ } ، هذه الكلمات أبكته وأثرت فيه حتى أنه قال بعدها مباشرة: "أنا يوسف"، وبذلك انقضت الأزمة، وسادت الرحمة، وسامحهم وعفا عنهم وأكرمهم.

فإذا كان يوسف – وهو بشر – قد تأثر وَلان قلبه لرؤية الذل في أعين إخوته، فكيف برب العالمين إن وقف عبده بين يديه متضرعًا، خاشعًا، مُظهرًا فقره، معترفًا بعجزه وضعفه؟

ارفع يديك إلى العزيز، وقلها كما قال إخوة يوسف: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ } ، ولكن قلها هذه المرة لله، بقلب منكسر، وبضعف ظاهر، وبنية خالصة.

اشكُ لله فاقتك، قلة حيلتك، ضعف طاعتك، محاولاتك الصادقة التي لم تكتمل، قُل له: { وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ } ، بطاعة ضعيفة لا تُقبل لولا كرمك، فـ أوفِ لنا الكيل، وأكرمنا لا بما نستحق، بل بما أنت أهل له.

وقل كما قال الصحابة للنبي ﷺ عن قصر الصلاة، فقال لهم: "تلك صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته"، فادعُ: " يا رب، تصدق علينا، وأكرمنا، وامنن علينا بجودك لا بعدلك" .

إذا كان يوسف قد غلبه الحنان على إخوته، فالله أرحم الراحمين.

أكرم يوسف من خانوه، وسامح من آذوه، وعلّمنا أن الخير لا يُفقد، وأن الصادقين يُجازون، ولو بعد حين.

- تأمل مشهد اللقاء : يوسف يقول لإخوته بعد سنوات طويلة: "هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟"

ما أرقى هذا العتاب ! لا لوم ولا توبيخ، بل تلميح لطيف، فيه إشارة إلى جهلهم بقدر الله وبقدر أنفسهم، وهذا هو الجهل الحقيقي في كل معصية.

يوسف عليه السلام آثر التوبة لإخوته على الانتقام لنفسه، وساعدهم على العودة إلى الله، لأن الكريم لا يُكثر العتاب، ويكفيه الاعتذار، ولا يرهق الناس بذلهم، بل يعافيهم منه.

ثم تحقق وعد الله الذي أوحاه إلى يوسف وهو في الجُب : { لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ }.

- وها هو بعد سنوات يُتمّ الله وعده، ويجعلهم أمامه لا يشعرون من هو حتى يُعلنها: { أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }

يا لها من لحظة ! إخوته في ذهول، يوسف الذي ألقوه في الجب ها هو اليوم في أعلى مقام، لم يتكبر، لم يطلب ألقابًا، لم يشترط مخاطبته بـ { يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ} ، بل قال بتواضع نادر: { أَنَا۠ يُوسُفُ } .

لم ينسب الفضل إلى نفسه، بل قال: { قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ } ، ما أعظمه من خلق!

لم يتفاخر بصبره، بل نسب كل الفضل إلى الله، ونسي الإساءة، وتجاوز عن الذنب، ورفع شأن من أساء إليه.

- هكذا يكون من استغنى بالله، هانت عليه الدنيا، وسهل عليه العفو، لأنه يعلم أن العفو لذة، يطهر القلب من الغل، ويعلو بصاحبه في درجات الإيمان.

فإذا أردت الانتقام، فانتقم لحق الله لا لنفسك، وإذا أردت العفو، فاعفُ ابتغاء وجه الله، فالعفو يرفعك، ويشرح صدرك، ويزيدك عزًا.

- **ختامًا،** ثق في وعد الله، وإن تأخر، فهو آتٍ لا محالة، وما قصة **يوسف عليه السلام** إلا **سلوى** لكل مبتلى، **وبُشرى** لكل منتظر، **ودرسٌ** في أن العفو، والكرم، والتواضع، **صفات الأنبياء، وعباد الرحمن.**

في قول يوسف عليه السلام: { قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ } ، يظهر تواضعه وإشارته إلى أن كل ما وصل إليه من فضل كان منة إلهية، لا اجتهادًا شخصيًا بحتًا ولا تميزًا نسبًا أو اسمًا. هذه العبارة جاءت بمثابة الدواء الشافي لحسد إخوته؛ إذ وجّههم إلى أن ما حصل عليه من خير، إنما هو فضل من الله ، لا مجال للحسد فيه. فإن أردتم الفضل، فاطلبوه من الله، واسلكوا السبيل الذي سلكه يوسف، تقوى وصبر.

يوسف عليه السلام في هذا الموقف كان **يربيهم، ويعظهم، ويهديهم، ويعالج مشاعرهم**، دون أن يجرحهم، بل بلطف ورقي، قال: { قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ } ليقول لهم: افهموا، اتركوا الحسد، فالفضل من الله. ثم وضع بين أيديهم قاعدة عامة:

{ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }

يوسف لم ينسب الفضل لنفسه، بل قدمه في صورة قاعدة ربانية شاملة، تصلح لكل من يعمل بها. لم يقل: " **لأني صبرت واتقيت** "، بل قال: { مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ } ، أي أن كل من يسلك هذا الطريق، فله الأجر.

والتقوى والصبر هما جناحا النجاة، فالتقوى في الرخاء، والصبر عند الشدائد، لأن الناس في هذا قسمان:

١. **من يتقي** في الرخاء لكنه لا يصبر في البلاء.
٢. **من يصبر** في البلاء لكنه يطغى في الرخاء.
٣. **من** لا يتقي ولا يصبر.
٤. **والكامل من يتقي الله** في الرخاء، ويصبر في البلاء، ويحسن في الحالين.

وهذا النوع هو الذي لا يضيع الله أجره، لأنه محسن في كل حالاته، والإحسان يتضمن تمام التقوى وكمال الصبر.

ومن الفوائد العظيمة : أن الصلاح المؤقت لا يكفي، بل لا بد من الصبر على الطاعة والاستمرار فيها، قال تعالى: { وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ }

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ }

{ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ }

فليس المطلوب أن تكون صالحًا في رمضان فقط، أو في أوقات معينة، بل أن تبقى على طريق الله إلى أن تلقاه.

هذه هي خلاصة سورة يوسف، وهنا يظهر تفوق القصص القرآني، الذي لا يكتفي بالحكاية، بل يرسخ في النفس السنن الربانية والقواعد الإيمانية، ويربط القلب بالله وصفاته وأسمائه.

ثم نعود إلى وقفة مؤثرة في قول يوسف: { قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ } . لم يذكر أيًا من الابتلاءات التي مر بها، مع أنها كثيرة ومؤلمة، بل ركّز على المنن. لماذا؟

أدبًا مع الله. لأن حتى الابتلاء كان في حقيقته وسيلة للمنح والخير، والله لا يخلق شرًا محضًا، بل في كل شر وجه من وجوه الخير. ولذلك قال: { إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ }

وهذا أدب عظيم، عكس حال الكنود، الذي لا يذكر إلا البلاء وينسى النعم. والكنود هو من يشكو ربه للناس، وينسى ما أنعم الله عليه به.

أما يوسف، فقد رأى في كل ما مرّ به من ابتلاءات، لطفًا خفيًا أدى إلى ما هو عليه من فضل.

القاعدة الكبرى التي ختم بها يوسف هذا الموقف التربوي المؤثر:

{ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }

اجعل هذه القاعدة منهج حياة، فبها تُدرّ الخيرات وتُدفع الشرور، وهي طريقك إلى حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

{ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ }

أخيرًا اعترف إخوة يوسف عليه السلام بالحقيقة : لقد فضّله الله عليهم، واعترفوا بخطئهم بعد سنوات من الكِبْر والحسد والعداوة. كانت هذه الشهادة منهم إعلانًا صريحًا بأن ما ناله يوسف لم يكن من كسبه فقط، بل من فضل الله واختياره. أدركوا أن طريق الحسد كان مسدودًا، وأنه كان الأولى بهم أن يسألوا الله من فضله، بدلًا من الحسد والغل، مستحضرين قول الله تعالى:

{ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا }

لقد بيّن يوسف عليه السلام من قبل أن ما ناله من فضل، لم يكن لكونه ابن يعقوب أو لحسبه، بل لأنه اتقى وصبر، وقال:

{ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }

فأرسى بذلك قاعدة عظيمة : أن الفضل من الله، وأنه يناله كل من اتقى وصبر، دون تمييز بالنسب أو المنصب.

كان يوسف عليه السلام حكيمًا في خطابه، رفيقًا في وعظه، ففتح لإخوته باب التوبة، ولم يغلقه عليهم رغم كل ما فعلوه. بل هيّأهم للاعتراف، وساعدهم على المصارحة، وأشعرهم بأنه سيقبل منهم الاعتذار، دون تأنيب ولا توبيخ.

وبالفعل، جاءت كلماته مؤثرة، فقالوا: { وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ }

فكان هذا أول اعتراف صريح منهم بالخطأ. وفي المقابل، أبدى يوسف عظمة نفسه، وسعة صدره، وقلبه الكبير، فبادر بقوله:

{ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ }

فلم يعاتب، ولم يعير، ولم يذكّرهم بالماضي، بل أعلن الصفح الكامل، لا تثريب ولا عتاب، ولا حتى ذكر للذنب مرة أخرى.

وهنا درس عظيم :

- أن الاعتراف بالخطأ، وإن جاء متأخرًا، خير من أن يفوتك الاعتراف أصلًا.

وأن من أراد أن يعين غيره على الاعتذار، فليكن لَيِّنًا، مهيئًا لقبوله، لا مغلقًا للأبواب، ولا متربصًا بكرامة المعتذر.

فالاعتذار لا يُنتزع بالإذلال، ولا يُشجع بالتوبيخ، بل بالرّحمة.

فكثير من الناس يترددون في الاعتذار، لا لأنهم لا يشعرون بالذنب، ولكن لأنهم يخشون أن يُهانوا أو يُحرجوا أو يُذلوا.

ومن أدب الاعتذار :

أن تُقرّ بالخطأ ببساطة، دون تبرير مبالغ.

وأن تعرف أن الاعتراف لا ينقص من قدرك، بل يرفعك، وهو أول باب التوبة.

ومن أدب العفو:

ألا تذكّر من سامحته بذنبه بعد حين، ولا تفتح سجلات الماضي إذا وقع في خطأ جديد.

- فالمسامحة الحقيقية تعني المسح، لا التأجيل.

وقد ضرب يوسف عليه السلام مثلًا نادرًا في المروءة:

حين قال لاحقًا: { وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ }

فلم يقل: " من بعد ما فعل إخوتي بي "، بل نسب الفعل للشيطان، وفاءً بوعده ألا يذكّرهم بما فعلوا.

هذا هو الصفح الجميل، وتلك هي القلوب الكبيرة التي لا تفتح سجلات الماضي، بل تمحوها بحق.

ومن دروسه العظيمة:

أن من أتانا معتذرًا لا نكثر عليه اللوم، فندمه يكفي.

وأن من أراد أن يسامحه الله، فليتعلم أن يسامح الناس كما يحب أن يُعامل.

- فكما تُحب أن يغفر الله لك بلا تذكير ولا إذلال، اغفر للناس بذات النقاء.

القلوب النقية لا تفتح سجلات الماضي.

من دروس سورة يوسف : عفو الكبار ومروءة العظماء

- من الفوائد العظيمة التي نستنبطها من قصة يوسف عليه السلام، أن العظماء إذا تمكنوا عفوا. فما أروع موقفه حين قال لإخوته بعد سنين طويلة من الألم : { قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ } ! قالها بعد أربعين سنة من المعاناة، فلماذا نعجز نحن عن قولها لمن أخطأوا في حقنا بكلمة عابرة أو موقف دنيوي بسيط؟

قولوا { لَا تَثۡرِيبَ } لعل الله يقولها لنا يوم القيامة: " لا عتاب، لا حساب، لا عقاب، ادخل الجنة بلا حساب". اصفحوا، سامحوا، لعل الله يصفح عنكم، " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" .

كان هذا الموقف مؤثرًا جدًا حتى إن الصحابة تأثروا به، وظهر أثره جليًا في قصة أبو سفيان بن الحارث – ابن عم النبي ﷺ، الذي أساء له لعشرين عامًا، هجى النبي بشعره، وحاربه، حتى أن النبي ﷺ كان يكرهه كراهية شديدة.

- لكن لما تاب وجاء ليعلن إسلامه وقت فتح مكة، أعرض عنه النبي ﷺ. فاستشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له :

قل له كما قال إخوة يوسف: { تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ }

ففعل، فما إن سمعها النبي ﷺ حتى قال : { قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ }

فكان هذا الموقف سبب محبة النبي له بعد ذلك، وقال عنه: " أرجو أن تكون خلفًا لحمزة "

سيدنا علي قال : " لأني أعلم أن النبي لا يحب أن يسبقه أحد إلى خلق عظيم". هذا هو العمل بالقرآن.

القميص.. من رمز الحزن إلى رمز الفرح

قال يوسف: { ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ }

كان أول قميص غارقًا في الدم والألم والفقد، فجعل الثاني يحمل العطر والفرج والشفاء. أراد يوسف أن يمحو القميص الأول بقميص آخر، وأن يكون القميص ذاته وسيلة لشفاء قلب يعقوب عليه السلام.

والعجيب أن يوسف عليه السلام قال: { يَأۡتِ بَصِيرٗا } بثقة ويقين، وكأنه وحي من الله، لتطييب قلب يعقوب وإسراعه بالبشرى، وكأن الأثر وحده من يوسف يكفي ليجدد الأمل ويشفي الحزن.

من الفوائد العظيمة :

ما أحزنك يومًا، قد يكون هو ما يفرحك غدًا!

كما كان قميص يوسف سببًا في حزن يعقوب، صار سببًا لفرحه.

ابنك المتعب اليوم، قد يكون سبب فخرك غدًا.

كليتك الصعبة، مشكلاتك الحالية.. قد تكون باب الخير لاحقًا.

فقط أحسن الظن بالله وقل: لعلها بداية لفرج كبير.

كما قال يوسف: { إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }

النعيم لا يكتمل إلا بأهلنا

قال يوسف: { وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ } ، لم يقل: والديّ وإخوتي فقط، بل جميع العائلة. بالزوجات، الأبناء، الكبار والصغار. كأنه يقول: النعيم يكتمل بحضور من نحب، فلا سعادة بدون مشاركة الأهل.

وهكذا وصف الله أهل الجنة: " وينقلب إلى أهله مسرورًا "

فلنجعل من أهلنا سببًا للفرح لا للشقاق، ولنتجاوز عن بعضنا، فإن من لم يكن له خير في أهله فلا خير له في أحد.

- هذه وقفات تربوية عظيمة من قصة يوسف عليه السلام، نعيش بها معاني العفو، والأمل، وحسن الظن بالله، وتقدير الأهل.

نستكمل المشهد في اللقاء القادم، حين تصل القافلة بقميص يوسف، فماذا سيحدث ليعقوب؟ وكيف سيكون لقاؤه بابنه؟ لنتدبر ونعيش مع القرآن.

جزاكم الله خيرًا، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته